التجاوز عن حديث النفس بغير عمل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ،

١ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»(٢٦٤).

(٢٦٤) رواه البخاريُّ (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

آيات

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].
- ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].
- ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه -على الأرجح-: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأَزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ وحرص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث؛ توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ)[١].

خلاصة

يخبر النبيُّ ﷺ أنَّ اللهَ سبحانه تجاوز بفضله عمَّا جال في نفوسنا من الأهواءِ والأمنيات والأفكار والخواطر، فلا نُحاسَبُ على شيءٍ ما لم ننطق به أو تعمله جوارحُنا.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

يذكر النبيُّ ﷺ في الحديثِ مظهرًا من مظاهرِ رحمته سبحانه بعباده المؤمنين، حيث رَفَع عنهم المؤاخذة بما يدور في نفوسهم من الخواطر وأحاديث النَّفس ما لم يتحول ذلك إلى فعلٍ يظهر على اللسانِ أو الجوارحِ.

وسواءً دَعَت تلك الخطَرَات إلى معصيةٍ أو غيبةٍ أو شركٍ، من غير تعمُّدٍ لتحصيله فلا شيءَ عليه إذا صَرَفَه عن نفسه ولم يستمرَّ عليه؛ جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»[٢٦٥]، ومعناه: أنَّ سببَ الوسوسةِ تلك محضُ الإيمانِ وصريحُه؛ فإنَّ أهلَ الباطلِ لا يُوَسْوَسُ لهم.

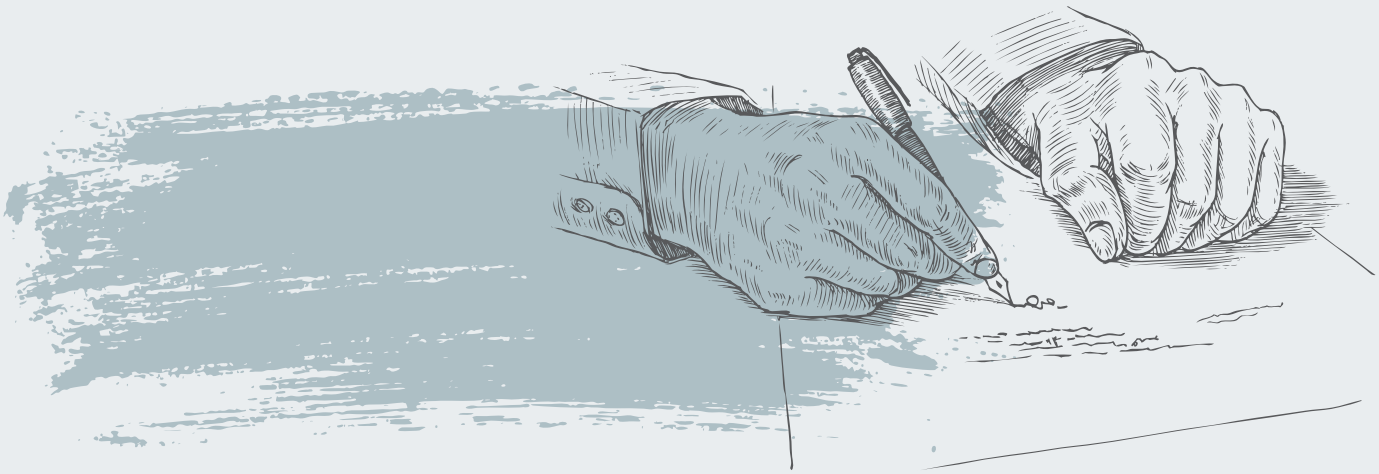

إلَّا أنَّ الإنسانَ إذا خطرت له فكرةٌ فعَقَد العزمَ على فعلها متى تهيَّأت له أسبابُها فإنه يأثم بذلك، ويكونُ كمَن فَعَلَها؛ فإنَّه حينئذ خرج عن حديث النَّفْسِ إلى نيَّة القلب. قال ﷺ: «مثلُ هذه الأُمَّةِ كمثلِ أربعةِ نفرٍ؛ رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا وعلمًا فهو يعملُ بعلمِه في مالِه يُنفقُه في حقِّهِ، ورجلٌ آتاه اللهُ علمًا ولم يُؤْتِه مالًا فهو يقولُ: لو كان لي مثلَ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فهما في الأجرِ سواءٌ» ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا ولم يُؤْتِه علمًا فهو يخبطُ في مالِه يُنفقُه في غيرِ حقِّهِ، ورجلٌ لم يُؤْتِه اللهُ علمًا ولا مالًا فهو يقولُ: لو كان لي مثلَ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فهما في الوِزْرِ سواءٌ»[٢٦٦].

وقد كان الأمرُ في أولِ الإسلام أنَّ العبدَ يحاسبُ على ما يُخفيه في نفسه من شوارد الأفكار والخواطر، ثم رَحِمَ اللهُ تعالى عبادَه ولطف بهم.

---

(٢٦٥) رواه مسلم (١٣٢).

(٢٦٦) رواه ابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (١٨٠٢٤).

١ لا ينبغي على المؤمن أن يحزن لما يصيبه من الوساوسِ التي تُشَكِّكُه في دينه وعبادته؛ فإنَّ ذلك دليلٌ على إيمانِه وحرص إبليسَ على إغوائه.

٢ إذا وجد العبدُ وسوسةً في نفسِه تتعلق بصفات الله تعالى ووجوده ونحو ذلك مما يُلَبِّسُ العبدَ فإنه يستعيذُ باللهِ تعالى ولا يُطلق فكرَه معها. قال ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ»(٢٦٧)، وعند مسلم: «فليقل: آمنتُ بالله».

٣ إياك أن تستهينَ بالنِّيَّات؛ فقد تُعَذَّب لمجرد نيتك الشرَّ وإن لم تفعله، فتخيَّل أن تُعَذَّب عذابَ قارون وفرعون وهامان لأنك نويت أن تفعل مثل فعلهم إن أُوتيتَ سلطةً ومالًا، وأنت فقيرٌ ضعيفٌ لا حيلة لك.

٤ جاهِد نيَّتَك ما استطعت، فاحرص على أن تنويَ الخيرَ دائمًا وأبدًا، حتى تُؤجر على ذلك وإن لم تُيَسَّرْ لك الأسباب. قال ﷺ: «مَن سَأَلَ اللَّهَ الشَّهادَةَ بصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنازِلَ الشُّهَداءِ، وإنْ ماتَ علَى فِراشِهِ»(٢٦٨).

٥ إذا وجدتَ في نفسِك شيئًا فيه معصيةٌ للهِ تعالى، فاقطع فكرَك عنه ولا تنشغل به، ولا تحزن فإنها لا تضرُّك.

(٢٦٧) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٢٦٨) رواه مسلم (١٩٠٩).